

المثل السائر

ألا ترى أنه قال في الأول (يصرف مسراها) مخاطبة للغائب ثم قال بعد ذلك (إذا العيس لاقت بي) مخاطباً نفسه وفي هذا من الفائدة أنه لما صار إلى مشافهة للمدوح والتصريح باسمه خاطب عند ذلك نفسه مبشراً لها بالبعد عن المكروه والقرب من المحبوب ثم جاء بالبيت الذي يليه معدولاً به عن خطاب نفسه إلى خطاب غيره وهو أيضاً خطاب لحاضر فقال (هنالك تلقى الجود) والفائدة بذلك أنه يخبر غيره بما شاهده كأنه يصف له جود المدوح وما لاقاه منه إشادة بذكره وتنويهاً باسمه وحملًا لغيره على قصده وفي صفته جود المدوح بتلك الصفة الغريبة البليغة وهي قوله (حيث قطعت تائبه) ما يقتضي له الرجوع إلى خطاب الحاضر والمراد بذلك أن محل المدوح هو مآلف الجود ومنشؤه ووطنه وقد يراد به معنى آخر وهو أن هذا الجود قد أمن عليه الآفات العارضة لغيره من المن والمطل والاعتذار وغير ذلك إذ التائب لا تقطع إلا عمن أمنت عليه المخاوف .

على هذا النهج ورد قول أبي الطيب المتنبي في قصيد يمدح به ابن العميد في النوروز ومن عادة الفرس في ذلك اليوم حمل الهدايا إلى ملوكهم فقال في آخر القصيد .

(كَثُرَ الْفِكَرُ كَيْفَ زُهِدِي كَمَا أَهْدَتْ إِلَيَّ رَبِّهَا الْمَلِيكَ عِيَادُهُ °
...) .

(وَالَّذِي عِنْدَنَا مِنَ الْمَالِ وَالْخَيْلِ فَمِنْهُ هِبَاتُهُ وَقِيَادُهُ °
...) .

(فَيَعْتَنَانَا بِأَرْبَعِينَ مَهَارًا ... كُلُّ مُهَرٍّ يُدَانُهُ إِزْشَادُهُ °)